

أنت قلت للناس اتخفوني وأمى الهين من دون الله ﴿ [ المائدة : ١١٦ ] ، أى واذا يقول الله يوم القيامة . ويدلك على ذلك قوله سبحانه : ﴿ هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم ﴾ [ المائدة : ١١٩ ] (٣٩) .

- وأيضا تأويله لبعض الآيات باعتبارها منفصلة السياق وان كانت تبدو متصلة ، أو كما يقول هو : أن يتصل الكلام بما قبله حتى يكون كأنه قول واحد ، وهو قولان : نحو قوله تعالى على لسان بلقيس ملكة سبأ : « قالت ان الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة » ، ثم قال : ﴿ وكذلك يفعلون ﴾ [ المل : ٣٤ ] وليس هذا من قولها ، وإنما انقطع كلامها عند قوله : ( أذلة ) ، ثم قال الله تعالى : « وكذلك يفعلون » . ونحو قوله تعالى في سورة يوسف [ آية : ٥١ ] : ﴿ الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين ﴾ ، هذا قول امرأة العزيز ثم قال يوسف : ﴿ ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب ﴾ [ يوسف : ٥٢ ] ، أى ليعلم الملك أنى لم أخنّ العزيز بالغيب (٤٠) ، ولم يعرض البلاغيون لهذه الظاهرة على الرغم من أهميتها .

وفي ضوء ما أسلفنا من حديث عن الظواهر البلاغية التى اهتدى إليها ابن قتيبة ، وهو يتأول المشكل من آيات القرآن الكريم ، دفعا للشبهات التى أثرت حولها لا نقر ما ذهب إليه الدكتور شوقي ضيف من « أن ابن قتيبة لم يضيف جديدًا ذا بال بالقياس إلى أبى عبيدة إلا ما عرف به من دقة التبويب ، وإلا بعض إشارات وبعض تفاصيل هنا وهناك ، كأن يتوسع في الحديث عن الكناية أو يعرض للمبالغة » (٤١) فثمة فرق كبير بين جهد الرجلين في هذا المضمار . نعم تأثر ابن قتيبة بأبى عبيدة ، وتشرب روح منهجه في عمومه ، كما ذكرنا من قبل ، لكنه خاض في ظواهر لم يعرض لها أبو عبيدة على نحو ما رأينا في الاستعارة ، كما فصل القول في بعض آخر بما يترك انطبعا قويا عن فهمه لها . وقد رأينا البلاغيين الذين جاءوا بعده يتابعونه في كثير مما ذكر وينقلون عنه جل الشواهد القرآنية التى استشهد

(٣٩) انظر : السابق ص ٢٩٥ .

(٤٠) انظر : تأويل مشكل القرآن ص ٢٩٤ .

(٤١) الدكتور شوقي ضيف ، البلاغة تطور وتاريخ ص ٦٠ .